جماعة عباد الرحمن

العبـــــاد

سلسلة العشرة المبشرين بالجنة

العدد ٥

أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب

كرَّم الله وجهه
ورضي عنه

الطبعة الثانية
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

يوزع مجاناً

بسم الله الرحمن الرحيم

علي بن أبي طالب

(كرَّم الله وجهه ورضي عنه)

نسبه

هو علي بن أبي طالب. (واسم أبي طالب: عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. وعلي هو أمير المؤمنين أبو الحسن، وكنَّاه رسول الله ﷺ «أبا تراب» فهو ابن عم رسول الله ﷺ.

أُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، بنت عم أبي طالب، من المهاجرات. أسلمَت وتوفيت في حياة النبي ﷺ بالمدينة، وبكى النبي ﷺ عليها، ونزل في قبرها. وقال: «**جزاك الله من أُمٍّ خيراً، فلقد كنتِ خير أُم**» (ذخائر العقبى، ١/ ٥٦).

وُلد عليٌّ قبل البعثة بعشر سنين، وربَّاه النبي ﷺ منذ صغره، فلازمه ولم يفارقه إلى أن انتقل رسولُ ﷺ إلى الرفيق الأعلى. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «صَلَّى النبيُّ غَداة الاثنين، وصَلَّت

خديجة رضي الله عنها يومَ الإثنين مِن آخر النَّهار، وصلَّى عليٌّ يومَ الثلاثاء» (٩٥٢ المعجم الكبير للطبراني، ١/ ٣٢٠).

عن محمد القُرَظِي قال: «أوَّل من أَسلم خديجة، وأول رجلَيْن أسلما أبو بكر وعلي، وإنَّ أبا بكر أول من أظهر الإسلام، وكان عليٌّ يكتُمُ الإسلام خوفاً من أبيه. لَقِيَه أبو طالب فقال: أَسلَمْتَ؟ قال: نعم. قال: وازِر[1] ابنَ عمِّك وانصُره».

نشأته

كانَ من نعمَةِ اللّهِ على علي بن أبي طالب، وما صَنَعَ اللّهُ لهُ وأَرادَهُ به مِن الخيرِ أَنَّ قُريشًا أَصابَـتهُم أزْمَةٌ شَديدَةٌ وكان أبو طالب ذا عيالٍ كَثير، فقالَ رسولُ ﷺ للعبَّاس (عمِّه) وكان من أيْسَر بني هاشِم: «يا عبَّاس، إنَّ أخاكَ أبا طالبٍ كَثيرُ العِيالِ وقد أصابَ النّاسَ ما ترى مِن هذه الأَزمة، فانطَلِقْ بنا إليه فَلنُخَفِّف عنهُ مِن عيالِه؛ آخُذُ مِن بَنيهِ رجلًا وتَأخُذُ أنتَ رَجُلًا، فَنَكِلُهُما[2] عنه». فقال العَبَّاسُ: نَعَم. فانطَلَقا، حتى أَتَيا أَبا طالب، فقال له: «إنَّا نُريدُ أَن نُخَفِّفَ عنك مِن عيالِك حتى يَنكَشِفَ عَن النَّاس ما

(١) وازر من أُزْرٌ وأُزُرٌ: الإحاطة والقوة.
(٢) فنكِلُهما: نتكفَّل بهما.

هُم فيه». فقالَ لهما أبو طالب: «إذا تَرَكتُما لي عقيلا، فاصنَعا ما شئتُما». فأخذَ رَسولُ اللّهِ ﷺ عَليًّا، فَضَمَّهُ إليه، وأخذَ العبّاسُ جعفراً، فَضَمَّهُ إليه. فلم يَزَل علي مع رسولِ اللّه ﷺ حتى بَعَثَهُ الله تَبارَكَ وتَعالى نَبيًّا، فاتَّبَعَهُ عليّ رضي الله عنه وآمنَ بهِ وصَدّقَهُ. ولم يَزَلْ جعفرٌ عند العَبّاسِ حتى أَسْلَمَ واستَغنى عَنْهُ. (الروض الأنف، ١/ ٢٨٥).

كان ما قام به رسولُ الله ﷺ من التخفيف عن عمِّه أبي طالب حين نزلَتْ بالناس شدَّةٌ نوعاً من المواساة على تحمُّل الغلاء الذي نزلَ بالناس، وكان فيه أيضاً ردٌّ لجميل أبي طالب الذي كَفَل النبي ﷺ مدةً طويلة منذ وفاة عبد المطلب حينما كان النبي ﷺ في الثامنة من عمره.

عبادته في مكة

كان رسول الله ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيهِ أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلِّيان الصلوات فيها، فإذا أَمسَيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إنَّ أبا طالب

عثر عليهما يوماً وهما يصلِّيان، فقال لرسول الله ﷺ: «يا ابن أخي، ما هذا الدِّين الذي أَراكَ تدين به؟»

فقال ﷺ: «أي عمِّ، هذا دينُ الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنتَ، أي عمِّ، أحقُّ مَن بذلتُ له النصيحة ودعوتُه إلى الهدى، وأحقُّ مَن أجابَني إليه وأعانَني عليه».

فقال أبو طالب: «أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أُفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن، واللهِ، لا يخلُصُ إليكَ بشيء تكرهُه ما بَقيتُ».

وقال لعلي: «أي بُنيَّ، ما هذا الدين الذي أنتَ عليه؟»

فقال: «يا أبتِ، آمنتُ بالله وبرسول الله وصدَّقتُه بما جاء به، وصلَّيتُ معه للَّه، واتَّبَعتُه».

فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خيرٍ فالزَمْهُ.

فكان من نعمة الله تبارك وتعالى عليه أن حظيَ بتربية النبي ﷺ له منذ صغره؛ فنشأ على أصحِّ حالٍ يكون عليها الرجل المسلم. فقد تفتَّح عقله وقلبه منذ صغره على الإيمان، ولانت

جوارحه لطاعة الرحمن. يقول ﷺ محدِّثاً عن أوائل العهد المكي: «مكثتُ مع رسول الله ﷺ كذا وكذا، لا يصلِّي معه أحدٌ غيري إلا خديجة».

هجرته

أَعلَمَ رسولُ الله ﷺ علياً بخروجه إلى الهجرة، وأمره أن يتخلَّف بعده حتى يؤدِّي عنه الودائع التي كانت عند رسول الله ﷺ للناس، لأنه لم يكن أحدٌ بمكة عنده شيءٌ يَخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلمون من أمانته. وقال ﷺ لعلي: «نَم في فراشي وتَسَجَّ ببُردي[1] هذا الحضرمي الأخضر، فَنَم فيه، فإنه لن يَخلصَ إليكَ شيءٌ تكرهُهُ منهم» (سيرة ابن هشام، ٢/ ٧٨). وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرده ذاك إذا نام.

وجاء مشركو مكة وأحاطوا بالبيت ينتظرون خروج رسول الله ﷺ لينقضُّوا عليه ويقتلوه. وجعلوا يتطلَّعون، فَيَرون علياً في الفراش مُتَسَجِّياً ببُرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله! إنَّ هذا محمَّداً نائمٌ. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. فقام علي ﷺ عن الفراش. فلما تبيَّن لهم أنَّ النبيَّ ﷺ خرج من بيته انطلقوا

(١) تسجَّى: تغطى. البُرد: الثوب.

يبحثون عنه.

وأقام علي بن أبي طالب بمكَّةَ ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عندَه للناس، حتى إذا فرغ منها، لَحِقَ برسول الله ﷺ فنزل معه على «كلثوم بن الهدم» في قباء ليلةً أو ليلتين.

زواجه من السيدة فاطمة رضي الله عنها

تزوج علي كرَّم الله وجهه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وكان الزواج المبارك سنة اثنتين، بعد وقعة «بدر»، والبناء كان بعد «أُحُد». ولم يتزوج عليها في حياتها حتى توفِّيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر.

وهكذا تمَّ لعلي كرَّم الله وجهه ثلاثُ حظايا، كلُّ واحدةٍ منها مَدعاةٌ للفخر والثناء:

١. أنه ابن عم رسول الله ﷺ.

٢. أنه تربَّى في كَنَف رسول الله ﷺ ولازمَهُ طيلةَ عمره الشريف.

٣. أنه تزوَّجَ بنتَ رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين وبنت

السيدة خديجة رضي الله عنها أول الناس إسلاماً.

أولاده

من أولاده: الحسن، والحسين، ومحسن أبناء السيدة فاطمة رضوان الله تعالى عليها.

وأبو بكر: وأُمُّه ليلى بنت معوذ.

وعثمان: وأُمُّه أُمُّ البنين بنت حزام بن خالد.

وعمر: وأُمُّه أُمُّ حبيب الصهباء التغلبية.

وأُم كلثوم: شقيقةُ الحسن والحسين. تزوَّجها عمر بن الخطاب ﷺ وأنجبت له رقية وزيد، فمات عنها فتزوجها بعده محمد بن جعفر.

منزلته عند الله تعالى وعند رسول الله ﷺ

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:

«لأُعطِيَنَّ هذه الرايةَ رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فباتَ الناس يدوكون[1] ليلتَهُم أيُّهم يُعطاها؟ قال: فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم

---

(١) يخوضون ويتحدثون في ذلك.

يرجون أن يُعطاها. فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: «هو يا رسول الله ﷺ يشتكي عينيه». قال: فأرسلوا إليه. فأُتي به، فبصقَ رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية فقال عليٌّ: «يا رسولَ الله، أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا». فقال: «انْفُذْ على رسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعُهُم إلى الإسلام. وأخبِرْهُم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه. فوالله لَأَن يهدي الله بك رجُلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم» (٢٤٠٦ صحيح مسلم، ٤/ ١٨٧٢).

في هذا الحديث الشريف بيانٌ لمنزلة الإمام رضي الله عنه عند الله تعالى بأنه يحبُّ الله تعالى، ومن أحبَّ الله تعالى أطاعَ رسولَهُ كما قال ربُّنا جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]؛ فعليٌّ كرَّم الله وجهه كان كامل الإتباع لرسول الله ﷺ، ولهذا كانت محبَّة علي كرَّم الله وجهه علامةً للإيمان، وبُغضُه علامةَ النفاق.

قال علي رضي الله عنه: «والذي فلقَ الحبَّةَ وبرأ النَّسَمَة إنه لَعَهْدُ النبي الأُمِّيِّ ﷺ إليَّ أن لا يُحِبَّني إلا مؤمنٌ، ولا يُبْغِضَني إلا مُنَافِق» (٧٨ صحيح مسلم، ١/ ٨٦).

مكانته عند أصحاب رسول الله ﷺ

كان علي رضي الله عنه محبوباً ومكان احترامٍ عند أصحاب رسول الله ﷺ، يعرفون له سَبْقَهُ وفضلَه ومنزلته وقرابته من رسول الله ﷺ. ومما يدلُّ على علوِّ منزلته لديهم:

■ عن أنس قال: بينما النبي ﷺ في المسجد إذ أقبل علي رضي الله عنه فسلَّم ثم وقف ينظر موضعا يجلس فيه فنظر النبي ﷺ في وجوه أصحابه أيهم يوسع له وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال: «ههنا يا أبا الحسن»، فجلس بين النبي ﷺ وأبى بكر، فعرف السرور في وجه النبي ﷺ وقال: «يا أبا بكر، إنما يعرفُ الفضلَ لذوي الفضل أهلُ الفضل» (٦٥٥ كشف الخفاء، ١/ ٢١٦).

■ عن سعد بن عبيدة قال: «جاء رجل إلى ابن عمر، فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسِن عمَلِه، قال: لعلَّ ذلك يسُوؤُكَ؟ قال: نعم، قال: فأَرغمَ الله بأَنفِك. ثم سأله عن عليٍّ فذكر محاسِن عمَلِه، قال: هو ذاك بيتُهُ أوسطُ بيوتِ النبي ﷺ، ثم قال: لعلَّ ذاك

يسُوؤُكَ؟ قال: أجل، قال: فأرغمَ الله بأَنفِكَ انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عليَّ جَهْدَكَ» (١٠٥٣ صحيح البخاري، ٣/ ٨٥٣١).

هذا الرجل، جاء إلى ابن عمر يسأله عن عثمان، وكان يتوقع أن يذكر ابن عمر عيوبه، فلما ذكر محاسنَه وفضائلَه استاءَ الرجل، ثم سأله عن علي ﷺ، فذكر من محاسنه وفضائله، فاستاء الرجل أيضاً.. فلما رآه يستاءُ مِن ذكر فضائل هاذَيْن الصحابيَّيْن أَثقَلَ عليه في الكلام زَجْراً له ولأمثاله من الخوض في عيوب الصحب الكرام.

■ كان أبو بكر الصديق يكثر ويطيل النظر إلى وجه علي رضي الله عنهما لعلمه بمقامه عند الله وعند رسول الله ﷺ.

■ كان الخليفة عمر يكثر من الدعاء: «اللهم لا تدعني لمعضلة ليس لها أبا الحسن» رضي الله عنهما.

■ كسا عمر يوما أصحاب النبي ﷺ فلم ير بالأكسية الموجودة ما يليق بالحسن والحسين عليهما السلام فبعث إلى اليمن فأتى لهما بكسوة تليق بهما، وقال حين رآهما: الآن طابت نفسي.

■ كان الخليفة عثمان يستعين دائماً بعلي ويعطيه حق التفاوض باسمه وينزل عند رأيه.

كانت روابط الأخوة بالله بين الصحابة على أَوثَق وأَمتَن ما تكون. فكان لعليٍّ كرَّم الله وجهه قَدرُهُ ومنزلتُهُ عند أصحاب رسول الله ﷺ وعند أهل بيته الأطهار.

■ شهادتان متبادلتان بين متحابَّيْن في الله صادقَيْن:

عن الشعبي أن أبا بكر نظر إلى علي بن أبي طالب فقال: «مَن سرَّه أن ينظر إلى أقرب الناس قرابةً من نبيهم ﷺ وأعظمهم عنه غناءً وأحفظهم عنده منزلةً فلينظر إلى علي بن أبي طالب». فقال علي: «لئن قال هذا إنه لأرأف الناس وإنه لصاحب رسول الله ﷺ في الغار وإنه لأعظم الناس غناءً في ذات يده» (نفعاً بسبب الأخذ عن نبيه ﷺ). (الرياض النضرة).

مكانة ابي بكر وعمر وعثمان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

إنَّ محبة أمير المؤمنين للخلفاء الثلاثة ظاهرة من خلال ظاهرة تسمية أبنائه بأسمائهم وقد انسحبت هذه الظاهرة على ابنَيْه الحسن والحسين وذريتهما، إضافة إلى المصاهرات

المتعددة بين ذراريهم ولعل أجملها شجرة عائلة الإمام جعفر الصادق حيث كان أبو بكر جده لأُمه مرتين وكان علي بن أبي طالب جده لأبيه مرتين رضي الله عنهم.

■ عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف فلما وُضِعَت ليُصلَّى عليها قال علي رضي الله عنه: «تقدَّم يا أبا بكر»، قال: «وأنت شاهدٌ يا أبا الحسن»، قال: «نعم، تقدَّم فوالله لا يصلي عليها غيرُك». فصلَّى عليها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين ودفنت ليلاً. (الرياض النضرة).

■ عن الحسن بن علي عليهما السلام قال علي:

«قدَّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلي بالناس وقد رأى مكاني وما كنت غائباً ولا مريضاً ولو أراد أن يقدِّمني لقدَّمَني فرضينا لدنيانا مَن رَضيَهُ رسول الله ﷺ لديننا» (الرياض النضرة).

■ مما قاله أمير المؤمنين علي عند وفاة أبي بكر في تأبينه :

«كنتَ كالجبل الذي لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف

وكنتَ كما قال رسول الله ﷺ أمنَّ الناس علينا في صحبتك وذات يدك وكنت كما قال ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم لم يكن لأحد فيك مغمز ولا لقائل فيك مهمز ولا لأحد فيك مطمع ولا لمخلوق عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه والقوي عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق القريب والبعيد. (الرياض النضرة).

■ ومن أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

«إنَّ الله تعالى صيَّر الأمر إلى عمر في المسلمين فمنهم من رضي ومنهم من سخط، فكنت ممن رضي، فوالله ما فارق الدنيا حتى رضي به من سخطه، فأعزَّ الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قواماً[1]، وضرب الحق على لسانه حتى ظننا أن ملكاً ينطق على لسانه، وقذف الله في قلوب المؤمنين الحب له وفي قلوب المنافقين الرهبة منه، شبَّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل فظاً غليظاً، وبنوح حنقاً مغتاظاً فمن لكم بمثلهما».

(١) قواماً: قِوام الشيئ عِمادُه الذي يقوم به، يقال: فلان قِوامُ أهل بيته.

(الرياض النضرة).

■ دخل علي على عمر بن الخطاب بعد وفاته فقال: «ما أُحِبُّ أن ألقى الله بصحيفة أَحَبُّ إليَّ من أن ألقاه بصحيفة هذا المسجَّى بينكم، رحمك الله يا بن الخطاب! إن كنت بآيات الله لعالما، وإن كان الله في صدرك لعظيما، وإن كنتَ لَتخشى الله ولا تخشى الناس في الله، جواداً بالحق بخيلاً بالباطل، خميصاً من الدنيا بطيناً من الآخرة» (الرياض النضرة).

■ ويتحدث الإمام علي ﷺ مع الخليفة عثمان وكان مفوَّضاً من الخليفة لمواجهة أهل الفتنة ويصفه بصفات الصحابي المقرب من رسول الله ﷺ: «إنَّ الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم، والله ما أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيتَ كما رأينا وسمعتَ كما سمعنا، وصحبتَ رسول الله ﷺ كما صحبنا وما ابن ابي قحافة (ابو بكر) ولا ابن الخطاب (عمر) أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره (كنت صهره مرتين) ما لم ينالا، فالله الله في

نفسك» (نهج البلاغة).

تسميته « أبا التراب »

كان علي ﷺ يحبُّ أن يُكنَّى «أبا التُّراب» كما كنَّاه النبي ﷺ، وكان لذلك قصة:

عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيتَ فاطمة، فلم يجد علياً في البيت. فقال: «أين ابن عمك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضَبَني، فخرج. فلم يَقِلْ[1] عندي. فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «أُنظر، أين هو؟» فجاء فقال: «يا رسول الله، هو في المسجد راقدٌ». فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شِقِّه، فأصابَه ترابٌ. فجعل رسولُ الله ﷺ يمسَحُه عنه ويقول: «قُم أبا التراب، قُم أبا التراب» (٢٤٠٩ صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٤).

جهاده في سبيل الله تعالى

شهد علي ﷺ كافَّة المشاهد مع رسول الله ﷺ، سوى غزوة تبوك لأنَّ رسول الله ﷺ استخلفه فيها على المدينة وعلى

---

(١) من القيلولة وهي النوم نصف النهار.

عماله بها.

كان رضوان الله عليه قويّاً شجاعاً، يُحسب له حساب، ولا تقوم له الأبطال، وكان قوي الساعد، «إذا أمسك بذراع الرجل أمسك بنَفَسِه». وقد أَبلى ببدرٍ وأُحُد والخندق وخيبر بلاءً عظيما، وكان لواءَ[1] رسولِ الله ﷺ في مواطن كثيرة.

■ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: خلَّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك على المدينة. فقال: يا رسولَ الله، تُخَلِّفُنِي في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون منِّي بمنزلة هارون من موسى؟ غيرَ أنَّه لا نبيَّ بعدي» (٢٤٠٤ صحيح مسلم ٤/ ١٨٧١).

■ إنَّ النبي ﷺ إنما استنابه في أمر خاص وفي وقت خاص كما استنابَ موسى هارون عليهما السلام في وقتٍ خاص. فلما رجع موسى عليه السلام من مناجاته عاد هارون إلى أول حالاته على أنه قد كان هارون اشترك مع موسى في أصل الرسالة. وهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ إنما استخلف علياً رضي الله عنه على المدينة

(١) لواء: راية، أو علامة يُشتَهرُ بها في الناس.

فقط. فلما رجع النبي ﷺ من تبوك، قعد مقعده وعاد علي رضي الله عنه إلى ما كان عليه قبل هذا. كما استخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم وغيره، ولا يلزم من ذلك استخلافه دائما بالاتفاق. وفي ذلك فضيلةٌ ومزية للإمام رضي الله عنه حتى استحقَّ أن يُستخلَف على المدينة.

علمه

كان علي رضي الله عنه من كبار فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم الذين يُرْجَع إليهم في مهمات الدين. وقد أتاحت له ملازمته لرسول الله ﷺ أن ينهل من العلم حتى صار يُرجَعُ إليه. عن سليمان الأحمسي عن أبيه، قال: قال علي رضي الله عنه: «والله، ما نَزَلَت آيةٌ إلا وقد علمتُ فيما نَزَلَت، وأين نَزَلَت، وعلى من نزلت، وإنَّ ربي وَهَب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً» (٢٦٥٠ حلية الأولياء، ١/ ٦٨).

■ وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه: «عليٌّ أَقضانا» (٥٣٢٨ المستدرك للحاكم، ٣/ ٣٤٥). ويكفي في هذا المقام أن نُورد قولاً لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقد كان من فقهاء الصحابة، عن سعيد بن المسيِّب قال: «كان عمر يتعوَّذُ بالله مِن مُعضِلَةٍ ليس

فيها أبو حسن» (طبقات ابن سعد، ٢/ ٣٣٩).

■ عن محمد بن قيس قال: دخل ناسٌ من اليهود على عليِّ بن أبي طالب، فقالوا له: ما صبرتم بعد نبيِّكم إلا خمساً وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضاً؟ قال فقال عليٌّ: «قد كان صبرٌ وخير، فذُكر صبرٌ وخير، ولكن ما جفَّت أقدامُكم من البحر حتى قلتم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾[1]» (١٢٤٥ فضائل الصحابة، ٢/ ٧٢٥).

زهده

كان ﷺ زاهداً في الدنيا، مُقبلاً على الآخرة، لم تَستَهوِه الدنيا ولم تغرُّه، حتى عندما آل أمرُ المسلمين إليه فصار أميرَ المؤمنين. ومما يدلُّ على زهده ﷺ:

■ عن الشعبي قال: قال عليٌّ ﷺ: «ما كان لنا إلاَّ إهابُ كَبْشٍ ننامُ على ناحيته، وتعجنُ فاطمة رضي الله عنها على ناحيته؛ يعني ننام على وجهٍ، وتعْجنُ على وجه». (الزهد لابن حنبل، ١/ ٢٨).

---

(١) الأعراف، ١٣٨.

■ عُرض عليه الفالوذج[1] فلم يأكله. (٣٤٥٠٥ المصنف، ٧/ ١٣٣).

■ عن عليّ ﷺ قال: «لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ وإني لأَربِطُ الحجَرَ على بَطْني مِنَ الجوع وإنَّ صَدَقَتي اليومَ لأربعون ألفاً» (١٣٦٦مسند أحمد، ١/ ١٩٦)؛ أي إنه كان ﷺ أزهدَ الناس، وإنَّ الذي تصدَّق به منذ كان له مال إلى اليوم كذا كذا.

■ عن علي ﷺ: أنَّ فاطمة عليها السلام شَكَت ما تلقَى مِن أَثَر الرَّحى، فأتى النبيَّ ﷺ سَبْيٌ، فانطلقَت فلم تَجدْهُ فوجدت عائشةَ فأخبرتها. فلما جاء النبيُّ ﷺ أخبرته عائشةُ بمَجيء فاطمة. فجاء النبيُّ ﷺ إلينا وقد أَخذْنا مضاجِعَنا، فذهبْتُ لأقوم، فقال: «على مكانِكُما». فقَعَدَ بيننا، حتى وجدتُ بَرْدَ قدمَيْه على صدري، وقال: «ألا أُعلِّمُكما خيراً مما سأَلتُماني، إذا أخذتُما مضاجِعَكُما تُكبِّران أربعاً وثلاثين، وتُسبِّحان ثلاثاً وثلاثين، وتَحمَدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما مِن خادِم» (٣٥٠٢ صحيح البخاري، ٣/ ١٣٥٨).

---

(١) الفالوذج: نوع من الحلوى غالي الثمن.

اختار النبي ﷺ له ما اختار لابنته من إيثار أمر الآخرة على الدنيا ورضاهما بذلك. (٣٧٠٧ فتح الباري، ٧/ ٧٣).

ورعه

إنَّ الذي يزهد في الدنيا وطيِّباتها يكون أبعدَ الناس عن الحرام والشبهات، بل إنه لا يأخذُ من الحلال إلا ما لا بدَّ منه متورِّعاً عن أموال الناس. وهذا ما كان عليه الإمام رضي الله عنه، رغم أنه تولى أعلى سلطة في الدولة الإسلامية ـ وهي إمارة المؤمنين ـ ولكنها لم تُزَحْزحه عن حالة الورع التي كان عليها.

■ عن عبد الله بن زُرَيْر قال: دخلتُ على عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومَ الأضحى، فقُرِّبَ إلينا خَزيرةٌ[1] فقلتُ: «أَصلَحَك الله، لو قرَّبت إلينا من هذا البط (يعني الوز) فإنَّ الله عز وجل قد أكثر الخير[2]». فقال: «يا ابن زُرَيْر، إني سمعتُ رسول ﷺ يقول: «لا يحلُّ للخليفة من مال الله إلا قَصْعَتان: قصعةٌ يأكلُها هو وأهلُه، وقصعةٌ يضعُها بين أيدي الناس» (٥٧٨ مسند أحمد ١/ ٩٤).

■ وقد روي أنه عَرَضَ سيفَه للبيع ليشتري به إزاراً وهو يومئذ

(١) خزيرة: لحم مقدَّد يُطبخ مع الطحين.
(٢) يقصد تقديم اللحم الطازج.

أميرُ المؤمنين.

■ ومما يدل على ورعه ما حدَّث به الناسَ فلم ينكروا عليه؛ فإنه أهدى إليه زعيم من زعماء العجم قارورة عطر، فخطب الناس فقال: «أيُّها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما زَرَيْتُ[1] من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه»، وأخرج قارورةً مِن كُمِّ قميصه فيها طيب، فقال: «أهداها إليَّ الدَّهقان، ثم أَتى بيتَ المال فقال: خُذُوا» (البداية والنهاية، ٨/ ٢).

■ قال عنترة بن عبد الرحمن الشيباني: دخلتُ على علي بن أبي طالب بالخَوَرْنَق[2]، وعليه قطيفةٌ وهو يرعد من البرد. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال وأنت ترعد من البرد؟ فقال: إني والله لا أرزأُ مِن مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجتُ بها من بيتي. (البداية والنهاية، ٨/ ٣).

تواضعه

■ عاتبه بعض الناس على عدم اهتمامه بلباسه، وهو أمير

(١) زَرَيْت: تنقَّصته.

(٢) الخورنق: إسم قصر في العراق بالكوفة.

المؤمنين، فقال عن ثيابه: «هذا أبعدُ من الكِبر، وأَجدَرُ أن يقتديَ بي المسلم».

■ عن صالح بيَّاع الأَكْيِسَة، عن جدَّته، قالت: «رأيتُ علياً اشترى تمراً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقيل : يا أمير المؤمنين! ألا نحملُهُ عنكَ؟ فقال : أبو العيالِ أحقُّ بحَمْلِه» (٣٦٥٣٧ كنز العمال، ١٣/ ١٨٠).

■ عن محمد ابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. ثم قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت. قال: «ما أنا إلا رجل من المسلمين» (٣٦٧١ فتح الباري، ٧/ ٢٠).

جوده وإيثاره

■ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾[1]﴾ أن عليًّا كرَّم الله وجهه أَجَّرَ نفسَهُ يسقي نخلاً بشيء من الشعير ليلةً حتى أصبح فقبض الشعير فطحن فصنعوا له بثلثه حريراً[2]. فلما نضج سأَله مسكينٌ

(١) سورة الإنسان.

(٢) حريرا: حساء.

فأَطعَموه، ثم صنعوا الثلث الثاني فسأَلَهم يتيمٌ فأَطعَموه، ثم صنعوا الثالثَ، فسأَلَهم أسير فأَطعَموه، وطَـوَوا[1] يومَهُم. وروي أنَّ الأسيرَ كان من المشركين. (تفسير البغوي).

■ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: أُتيَ رسول الله ﷺ بجنازةٍ ليُصلِّي عليها. فتقدَّم ليصلي، فالتفتَ إلينا فقال: «هل على صاحبكم دَيْنٌ ؟» قالوا: نعم، قال: «هل ترك له من وفاء؟» قالوا: لا، قال: «صلُّوا على صاحبكم»، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عليَّ دَيْنُه يا رسول الله، فتقدم فصلَّى عليه وقال: «جزاكَ الله يا علي خيراً كما فكَكْتُ رهان أخيك، ما مِن مسلمٍ فكَّ رهان أخيه إلا فكَّ اللهُ رهانَهُ يوم القيامة» (السنن الكبرى للبيهقي٦/ ٧٣).

فصاحته وحكمته

اشتهر الإمام علي ﷺ بفصاحته وبلاغته وسَداد مَنطِقِه؛ كيف لا وهو العربي القرشي الذي تربَّى في كنف أفصح الخَلق مَنطِقاً إذا تكلَّم! ونشأ على كتاب الله تعالى يغذِّي منه عقلَهُ وقلبه. ومن حِكَمِه رضوان الله تعالى عليه:

(١) طووا يومهم: ناموا من غير طعام.

* صلاةُ الليلِ بَهاءٌ في النهار.

* صلاحُ الدين من الوَرَع، وفَسادُه من الطمع.

* الشرفُ بالفضل والأدب لا بالأَصل والنسب.

* جمال الخُلُق أَبهى من جمال الخَلْق.

* في سَعَة الأخلاقِ كنوزُ الأرزاق.

* مَن سَلَّ سيفَ البَغْيِ قُتل به.

* من عَذُبَ لسانُه كَثُرَ إخوانُه.

* من قلَّ صِدقُهُ قَلَّ صديقُه.

* لا تنظُر إلى مَن قال، وأنظُر إلى ما قال.

* إذا أَقبلت الدنيا على أحدٍ أَعارَتهُ مَحاسنَ غيرِه، وإذا أَدبَرَت عنه سلبَتْهُ محاسنَ نَفْسِه.

* الإستشارةُ عينُ الهداية، وقد خاطَرَ مَنِ استَغْنى برأيه.

* نِعْمَ المؤازرة المُشاوَرَة، وبئس الاستعداد الاستبداد.

توفيقه للقضاء

■ عن علي عليه السلام قال: «بَعثَني رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن قاضياً،

فقلتُ: يا رسولَ الله تُرسلني وأنا حديثُ السِّنِّ ولا عِلْمَ لي بالقضاء؟ فقال: إنَّ الله سَيَهدي قلبَكَ ويُثَبِّتُ لسانَك. فإذا جَلَسَ بين يديك الخصمان فلا تَقْضِيَنَّ حتى تسمعَ من الآخر كما سمعتَ من الأوَّل، فإنَّه أَحرى أن يتبيَّنَ لك القضاء، قال: فما زلتُ قاضياً، أو: ما شَكَكْتُ في قَضاءٍ بعد» (٣٥٨٢ سنن أبي داود، ٤/ ١١).

■ وقال عمر ﷺ: «أَقْضَانَا عليٌّ» (٤٢١١ صحيح البخاري، ٤/ ١٦٢٨).

كان ﷺ عنه بارعاً في القضاء، مسدَّداً فيه؛ كيف لا وقد دعا له رسول الله ﷺ؟ ومن براعته في القضاء:

■ روي أن رجلين استودعا امرأةً من قريش مائة دينار، وقالا لها: لا تدفعيها إلى أحدٍ منَّا دونَ صاحبِه، حتى نجتمع. فلبثا سنةً، ثم جاء أحدُهما وقال: ماتَ صاحبي. فدفَعَت المائةَ إليه بعد إلحاحِ أهلها، ثم لبثَت سنةً. فجاء الآخرُ يُطالبُها. فاختَصَما إلى عمر. فطلبت المرأةُ أن يحكِّما علياً كرَّم الله وجهه. فعرف أنهما مَكَرا بها. فقال لخَصمِها: أَلَيْسَ قُلتُما لا تَدفَعْها إلى واحدٍ منَّا دون

صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإنَّ مالَكَ عندنا، اذهَب فجئ بصاحبِكَ حتى ندفعَ إليكما، فذهَبَ ولم يَعُد. (سنن البيهقي الكبرى، ٦/ ٢٨٩).

■ عن زِرٍّ بنِ حُبَيْشٍ قال: جلس رجلان يتغدَّيان، مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة. فلما وضعا الغداءَ بين أيديهما مرَّ بهما رجلٌ، فسلَّم. فقالا: اجلس للغداء، فجلس وأكل معهما. واستوفوا في أَكلِهم الأرغفة الثمانية. فقام الرجل، وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خُذا هذا عوضاً مما أكلتُ لكما ونلتُه من طعامكما. فتنازعا. وقال صاحبُ الأرغفة الخمسة: لي خمسة دراهم ولك ثلاث. فقال صاحبُ الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين. وارتفعا إلى أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ فقصَّا عليه قصتَهما. فقال لصاحب الأرغفة الثلاثة: قد عَرَض عليك صاحبُكَ ما عرضَ وخبزُه أكثرُ من خبزك، فارضَ بثلاثة. فقال: لا والله! لا رضيتُ منه إلا بمُرِّ الحق[1]. فقال علي ﷺ: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة. فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! وهو يعرض عليَّ ثلاثة فلم أَرْضَ، وأَشَرتَ عليَّ

(١) مُرُّ الحق: أي حقِّي ولو لم يكن كما أرتجي.

بأخذها فلم أَرْضَ، وتقول لي الآن: إنه لا يجب في مُرِّ الحقِّ إلا درهمٌ واحد؟ فقال له علي: عرضَ عليكَ صاحبُك الثلاثة صلحاً، فقلت: لم أرضَ إلا بمُرِّ الحق ولا يجب لك بمُرِّ الحق إلا واحداً. فقال له الرجل: فعرِّفني بالوجه في مر الحق حتى أقبله. فقال علي ﷺ: أليس للأرغفة الثمانية أربعةٌ وعشرون ثلثاً، أكلتُموها وأنتم ثلاثة أَنفُس، ولا يُعلم الأكثرُ منكم أكلاً ولا الأقل، فتُحملون في أكلكم على السواء.. قال: بلى. قال: فأكلتَ أنتَ ثمانيةَ أثلاث، وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبُك ثمانية أثلاث، وله خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانيةً، ويبقى له سبعة، وأكل لك واحداً من تسعة، فَلَكَ واحدٌ بواحدك، وله سبعةٌ بسَبعَتِه. فقال له الرجل: رضيتُ الآن. (الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٣٤٠).

خصائصه

١ـ أنه أحبُّ الرجال إلى النبي ﷺ

■ عن جُمَيْعِ بنِ عُمَيْرٍ التَّميميِّ، قال: «دَخَلْتُ مع عَمَّتي على عائشَة، فَسُئِلت: أَيُّ النَّاس كانَ أَحَبَّ إلى رسولِ اللَّه ﷺ؟» قالت: «فاطمة»، فقيل: «مِن الرِّجَال؟» قالَت: «زَوْجُها إن كانَ

ما عَلِمتُ صَوَّامًا قَوَّامًا» (٣٨٧٤ سنن الترمذي، ٥/ ١٠٧).

■ عن عمر بن الخطاب أنه رأى رجلاً يسبُّ علياً، فقال: «إني أَظُنُّك منافقاً، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنما عليٌّ منِّي بمنزلة هارونَ مِن موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي» (تاريخ بغداد، ٧/ ٣٥٤).

■ عَن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: آخَى رَسولُ اللَّه ﷺ بينَ أصحابه، فَجاءَ عليٌّ تَدْمَعُ عَيْنَاه، فقال: «يا رَسولَ اللَّه، آخَيْتَ بينَ أَصْحابكَ، ولم تُؤَاخِ بيني وبينَ أَحَد؟» فقال لَهُ رَسولُ اللَّه ﷺ: «أنتَ أخي في الدُّنيا والآخرة» (٣٧٢٠ سنن الترمذي، ٥/ ٦٣٦).

٢ـ أنَّ مَن سبَّه فقد سبَّ النبيَّ ﷺ

■ عن عَبْدِ اللَّه الجَدَليِّ، قال: دَخَلْتُ على أُمِّ سَلَمَةَ فَقالَت لي: أَيُسَبُّ رَسولُ اللَّه ﷺ فيكُم؟ قُلْتُ: مَعاذَ اللَّه أو سُبْحانَ اللَّه أو كَلِمَةً نَحْوَها. قالَت: سَمِعْتُ رَسولَ ﷺ يقولُ: «مَن سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّني» (٢٦٧٤١ مسند أحمد، ٦/ ٣٦٥).

٣ـ أقامَهُ النبيُّ ﷺ مَقام نفسه في نحر بُدْنِه، وأَشرَكَه في هَدْيِه

■ نَحَرَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً وستين بَدَنَة، ثم أعطى عليًّا، فنَحَرَ ما

غَبَرَ[1]، وأَشْرَكَهُ في هَدْيِه. ثم أَمَرَ مِن كُلِّ بَدَنَةٍ ببضْعَة، فجُعِلَت في قِدْر، فطُبِخَت. فأَكلا مِن لحمِها وشَربا مِن مَرَقها» (١٢١٨ صحيح مسلم ٢/ ٨٩٢).

٤ـ إختصاصُه بمغفرةٍ من الله تعالى يومَ عرفة

■ عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ عشيَّةَ عرفة، فقال: «إنَّ الله تعالى باهَى بكم وغَفَرَ لكُم عامةً، ولعليٍّ خاصةً، وإنِّي رسولُ الله إليكُم غيرَ مُحابٍ لقَرابَتي، هذا جبريل يخبرني أنَّ السعيد حقَّ السعيد من أَحَبَّ علياً في حياته وبعد موته، وأنَّ الشقيَّ كلَّ الشقيِّ من أبغض علياً في حياته وبعد موته» (١٤٧٥٨ مجمع الزوائد، ٩/ ١٨٠).

٥ـ أنه عمل بآيةٍ من كتاب الله تعالى ما عمل بها أحدٌ غيره

■ قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في كتابِ الله لآية ما عَمِلَ بها أحدٌ ولا يعملُ بها أحدٌ بَعدي آية النجوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[2]

(١) ما غبر: ما بقي.
(٢) سورة المجادلة، ١٢.

قال: كان عندي دينارٌ، فبعته بعشرة دراهم، فناجيتُ النبيَّ ﷺ. فكنتُ كلَّما ناجيتُ النبيَّ ﷺ قَدَّمْتُ بين يَدَي نجواي درهماً، ثم نُسخَت، فلم يَعمَل بها أَحَدٌ، فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾[1]» (٣٧٩٤ المستدرك، ٢/ ٥٢٤).

تولّيه الخلافة

لمَّا قُتل عثمان ﷺ، دخل علي ﷺ منزله، فجاء الناسُ كلُّهم يهرعون إليه يقولون: «أميرُ المؤمنين علي»، حتى دخلوا عليه داره وقالوا له: نُبايعك، فمُدَّ يَدكَ، فلا بدَّ مِن أمير. فقال عليٌّ: ليس ذلك إليكم، إنَّما ذلك الى أهل بدر، فمن رضي به أهلُ بدر فهو خليفة. فلم يبقَ أحدٌ من أهل بدر إلا أتى علياً، فقالوا: ما نرى أحداً أحقَّ بها منكَ مُدَّ يَدَكَ نُبايعك. فقال علي: أين طلحة والزبير؟ فكان أوَّل مَن بايعه طلحةُ بلسانه وسعدُ بيده. فلما رأى ذلك علي خرج إلى المسجد، فصعد المنبر. فكان أوَّل من صعد إليه طلحة فبايعه بيده، ثم بايعه الزبير، وسعد، وأصحاب النبي ﷺ جميعاً.

وكانت البيعةُ لعليٍّ ﷺ يوم الثامن عشر من ذي الحجة،

(١) سورة المجادلة، ١٣.

سنة خمس وثلاثين. وبايعت له الأنصار إلا معاوية بالشام، ونفرٌ تخلَّفَ عن بيعته. ومن تخلَّف عن مبايعته فلم يُكرههم عليها. وسُئل عنهم فقال: «أُولئك قومٌ قعدوا عن الحقِّ ولم يقوموا مع الباطل».

وسار عليه السلام في رعيته سيرة الخلفاء الراشدين من قبله سيرةَ رحمةٍ وعدل. فأحبَّه الناسُ، وأطاعوه، وعرفوا له فضلَهُ ومزيَّته. ولكن شاءَت إرادةُ الله تعالى أن يتعرَّض المجتمع الإسلامي للبلاء مرةً أُخرى ليلقى الإمام الرشيدُ ربَّه شهيداً راضياً مرضياً.

سياسته في الرعية

سار علي رضي الله عنه في الرعية سيرة هدىً ورشاد كما كان أسلافه البررة من قبله. ومن سياسته رضي الله عنه عنه:

١ـ مرجعية الدولة في عهد علي رضي الله عنه

استمرت الخلافة راشدة في عهده على ما كان الأمر من قبل:

أ ـ العمل بكتاب الله تعالى مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا

تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ [النساء].

ب ـ العمل بسنَّة رسول الله ﷺ اقتداءً بقول رسول الله ﷺ: «إني قد تركتُ فيكم شيئَيْن لن تَضلُّوا بعدَهُما: كتابَ الله، وسُنَّتي» (٩١٣ المستدرك، ١/ ٢٧١).

ج ـ الإقتداء بالخلفاء الراشدين تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدين» (٧٠٦٤ سنن أبي داود، ٥/ ٤١).

٢ـ الاعتراف بحق الأُمة في رقابة الحكام

فإنهم إنما يستمدُّون سلطانَهم من رضى الناس بهم. وفي هذا قال علي رضي الله عنه: «إنَّ هذا أَمرُكُم، ليس لأَحدٍ فيه حقٌّ، إلا مَن أَمَّرتُم، ألا أنَّه ليس لي أمرٌ دُونكم».

٣ ـ الأخذ بالشورى

كان عليٌّ رضي الله عنه يستشيرُ وجوهَ الناس فيما يَعرِضُ له من مشكلات وحوادث ويوصي الولاة بذلك. قال لعامله على مصر مالك بن الحارث الأشتر: «لا تُدخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً فيَعدِلُ بك عن الفضل ويَعِدُكَ الفقر، ولا جباناً فيُضعِفُكَ عن

الأُمور، ولا حريصاً فيزيِّنُ لك الشَّرَه بالجُور. فإنَّ البخل والجبن والحرص غرائزُ شتى يجمعُها سوء الظنِّ بالله».

٤ ـ العدل والمساواة

ضرب الإمام علي ﷺ المثل الأعلى في العدل والمساواة حيث قرَّرَ مساواة أمير المؤمنين بأفراد رعيته، ولو كان ذمياً. وفي القصة التالية بيانٌ وبرهان:

افتقد يوماً درعَهُ، فوجدها في يد يهودي يبيعها في السوق. فقال: «درعي، لم أَبِعْ ولم أَهَب».

فقال الرجل: «الدرعُ درعي وفي يدي».

فاختصما إلى «شريح» القاضي. فقال شريح: «يا أمير المؤمنين، البيِّنة».

قال: «نعم. قَنبر (خادمه) والحسن والحسين يشهدون أنَّ الدرعَ درعي».

قال: «شهادةُ الإبن لا تجوزُ للأب».

فقال: «رجلٌ مِن أهل الجنَّة لا تجوزُ شهادتُه؟» سمعتُ رسولَ

الله ﷺ يقول: «الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّة» (٣٧٦٨ سنن الترمذي، ٥/ ٦٥٦).

قال القاضي للإمام علي: أَلَكَ بيِّنَةٌ أُخرى؟»

قال علي رضي الله عنه: «لا». قال القاضي: «الدرعُ في يدِهِ فهي له».

فقال اليهودي: «أميرُ المؤمنين قَدَّمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه[1]؟ أشهدُ أنَّ هذا الحقَّ، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، وأنَّ الدرعَ درعُكَ كنتَ راكباً على جملكَ وأنت متوجِّهٌ إلى صِفِّين، فوقعت منكَ ليلاً، فأَخذتُها». قال: «أمَّا إذا قلتَها فهي لك».

سياسته مع ولاته

دأب الإمام علي رضي الله عنه على مراقبة ولاتِه، وتتبَّعَ أعمالَهم وسياستَهم في الرعية. واتبع لذلك طرقاً عدَّة منها:

١. الكتابة إلى الوُلاة توصيةً لهم بالحقِّ والنُّصح لهم بالرفق بالناس.

٢. إرسال مفتشيه إلى الأقاليم لينظروا في أحوال الناس وفي

(١) قضى عليه: أي أخسره الحكم.

سياسة الولاة بهم.

٣. تلقِّي رسائلَ من الولايات يكتبها مراقبون لعلي ﷺ.

٤. معاقبةُ الولاة الذين تثبتُ التُّهمةَ عليهم. وقد تصل العقوبة إلى الضرب والحبس والعزل. وكان يقول عند وصول شكايةٍ على أحدهم: «أللهمَّ إني لم آمرُهُم أن يَظلِموا خَلقَكَ أو يتركوا حقَّك».

حوادث مؤسفة

شاءت إرادة الله تعالى أن تحدُثَ فتنةٌ بين المسلمين، أَشعلَ نارَها الحاقدون على الإسلام ممَّن تظاهر بالانتساب إليه أمثال: عبد الله بن سبأ وغيره ممن عُرفوا بالخوارج. فحَدَث قتالٌ مؤسف بين علي ﷺ ومناصريه من جهة، وطلحة والزبير ومناصريهما من جهة أُخرى، وذهب ضحيَّتَها بضعةُ آلاف من المسلمين في معركتَي «الجمل» و«صِفِّين».

والواجب في مثل هذه الحوادث يتلخص في التالي:

١. أن نكفَّ عما جرى بين الصحابة من اختلاف؛ فلا نتناوله لا كتابةً ولا قراءةً و لا تعليماً استجابةً لأَمر رسول الله ﷺ:

«اللَّهَ اللَّهَ في أَصحابي، اللَّهَ اللَّهَ في أَصحابي، لا تَتَّخِذوهُم غَرَضًا بَعْدي، فَمَن أَحَبَّهُم فَبحُبِّي أَحَبَّهُم، ومَن أَبْغَضَهُم فَبُبْغضي أَبْغَضَهُم، ومَن آذاهُم فَقَد آذاني، ومَن آذاني فَقَد آذى اللَّهَ، ومَن آذى اللَّهَ فيُوشِكُ أَن يَأْخُذَه» (٢٦٨٣ سنن الترمذي، ٥/ ٦٩٦).

٢. التماسُ العذر لهم فيما حدث بأنَّ الأُمور اشتبَهَت عليهم، واجتهدَ كلُّ فريقٍ وعمل باجتهاده. والمجتهدُ مأجورٌ عند الله تعالى أصابَ أو أَخطأ. ولذا اتفقت الأُمة على قبول شهاداتهم ورواياتهم لسُنَّة رسول الله ﷺ وثُبوت عدالتهم.

٣. ذكرُ محاسنهم والترضّي عليهم والمحبَّة لهم، وتَـرْكُ التحامل عليهم ونثني عليهم جميعاً كما أثنى عليهم ربُّ العالمين في أمثال قوله تعالى فيهم:

- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠].

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء، ١٠١].

- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[التوبة: ١٠٠].

٤. أن نقول فيما شَجَر مِن خلافٍ بينهم ما قاله الربيع بن خيثم لمَّا قيل له: قُتل الحسين. قال: أَقتَلوه؟ قالوا: نعم. فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزمر].

إستشهاده

بشَّره النبي ﷺ أنه يموت شهيداً.

عن سَعيد بن زَيْدِ بن عمرو بن نُفَيْل أنه قال: أَشهَدُ على التِّسعةِ أنَّهم في الجنَّة، ولو شَهِدْتُ على العاشِرِ لَم آثَم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: كنَّا مع رسول اللَّه ﷺ بحراء، فقال: «أُثبُتْ حِراءُ، فإنَّهُ ليسَ عليكَ إلَّا نَبيٌّ أَو صِدِّيقٌ أَو شَهيد». قيل: «ومَن هُم؟» قال: «رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وأبو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وعثمانُ، وعَلِيٌّ، وطَلْحَةُ، والزُّبَيرُ، وسَعْدٌ، وعبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ». قيلَ: «فَمَن العاشِر؟» قال: أنا». (٣٧٥٧ سنن الترمذي، ٥/ ٦٥١).

وكان علي رضي الله عنه يتولَّى التَّأذين بنفسه. فكان إذا أراد أن يقول:

حيَّ على الصلاة، أَخرَجَ رأسَهُ مِن طاقِ باب المسجد إلى السوق ليَسمَعَه الناس. فجاء ابنُ ملجم وقام عند الطاق من الخارج، فلما أخرجَ علي ﷺ رأسه، ضربه ضربةً أصابته، وتنادى الناسُ: قُتِلَ أميرُ المؤمنين. وأقبلوا على قاتله، حتى أخذوه، وانتزعوا السيف من يده. وقال علي ﷺ: إحبسوه، فإنما هو جرحٌ، فإن بقيتُ قَتَلتُ أو عفوتُ، فإن متُّ، فاقتلوه قتلتي، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين. فلما مات علي ودُفن، قام الحسن بن علي بالصلاة عليه، ودُفن بالكوفة. وقتلوا ابن ملجم.

مكث عليّ جريحاً يوم الجمعة ويوم السبت وكان خلال ذلك لا يهتم بألمه اهتمامه بالأُمّة، فلم يكن يفتر عن القول: «سلوني قبل أن تفقدوني». وتوفي ليلة الأحد في الحادي والعشرين من رمضان عام أربعين للهجرة، وكانت سنُّـهُ سبعٌ وخمسون سنة، وقيل ثلاثٌ وستون، وقيل غير ذلك.

عَن جابر رضيَ اللَّهُ تعالى عنه ، قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ لِعَلِيٍّ رضي اللَّهُ عنه: «مَنْ أَشْقَى ثَمُود؟» قال: مَن عَقَرَ النَّاقَة، قال: «فَمَن أَشقَى هذه الأُمَّة؟» قالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَاتِلُكَ» (٢٠٣٧ المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ٢٤٧).

موقف الناس من مقتل الإمام

سُرَّ الخوارج من مقتل الإمـام علي ﷺ، وحزن عليه المسلمون، وبكوه ورثوه.

عن أبي صالح قال: قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة: صِفْ لي عليّا.

فقال: أو تعفيني؟ قال: بل صِفْهُ.

قال: أو تعفيني؟ قال: لا أعفيك.

قال: «أما إذا فإنه والله، كان بعيدَ المدى شديدَ القُوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجرُ العلم مِن جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنسُ بالليل وظلمته. كان والله غزيرَ الدمعة، طويل الفكرة.. يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه. ونحن والله مع تقريبه لنا وقُربه منا لا نكلِّمه هيبةً، ولا نبتديه لِعِظَمِه. يعظِّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد بالله، لقد رأيته في بعض

مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: «يا دنيا إليَّ تعرَّضت أم لي تشوَّقت؟ هيهات هيهات، غرِّي غيري، قد بَتَتُّكِ[1] ثلاثاً لا رجعةَ لي فيكِ، فعُمركِ قصيرٌ وعَيْشُكِ حقير، وخَطَرُكِ كبير. آهٍ مِن قلَّة الزاد وبُعدِ السفر ووَحشَة الطريق»..

فبكى معاوية وقال: «رَحِمَ الله أبا الحَسَن، كان والله كذلك».

ونحن نقول: رحم الله أبا الحسن وجزاه عن المسلمين خيرا؛ فقد كان ـ مع شدَّة الفتن التي أحاطت بخلافته ـ شديدا في الحق، مقيماً للعدل، خاشعاً لله، مجتهداً في نصح الأُمة، يولِّي الأخيار ويحاسب المقصِّرين ولا يجافي الحقَّ أبدا؛ فكانت حياته كلها جهادا وكان موته استشهادا. إنه خليفة راشدي مع أن عصره لم يكن كذلك، فلم يُغرِه مُحبٌّ مفرط، ولم يكترث لمُبغضٍ مُفرط حتى قال: «يهلك فيَّ رجلان: مُحِبٌّ مُفرط ومُبغِضٌ مُفرط» (٣١٦٤٤ كنز العمال، ١١/ ٣٢٦).

جعل الله لنا بسيرته العطرة خير عظة وعبرة.

---

(١) بَتَتُّك: قَطَعْتُك، والمُرادُ هنا الإعراضُ عن الدنيا بالكليَّة.

عن عَليٍّ قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ:
«رَحِمَ اللَّهُ أبا بَكْر، زَوَّجَني ابْنَتَهُ، وحَمَلَني إلى دارِ الهِجْرة، وأَعْتَقَ بلالاً من مالِه.
رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، يَقولُ الحَقَّ وإن كانَ مُرًّا، تَركَهُ الحَقُّ وما لَهُ صَديقٌ
رَحِمَ اللَّهُ عُثمانَ تَسْتَحْييه المَلائكَة
رَحِمَ اللَّهُ عَليًّا أَللَّهُمَّ أَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دار»

(٣٧١٤ سنن الترمذي، ٥/٦٣٣)

قال معاوية: «رَحِمَ اللَّهُ أَبا الحَسَن، كانَ واللَّهِ كذلك. فكيف حزنُكَ عليه يا ضِرار؟»
قال: «حُزنُ مَن ذُبِحَ وَلَدُها في حِجْرِها؛ فلا تَرْقَأُ[1] عِبْرَتُها ولا يَسْكُنُ حُزْنُها.»

---

١) ترقأ: تسكن وتنقطع

ان مطبوعات العباد مرخصة بالقرار رقم "٥٣"
تاريخ ١٧-٢-١٩٧٩ الصادر عن وزارة الاعلام

الناشر: جماعة عباد الرحمن- بيروت
ص ب : ١٥٥٠١٧ (بريد البسطة)
هاتف : ٦٥٤٠٨٨-٠١